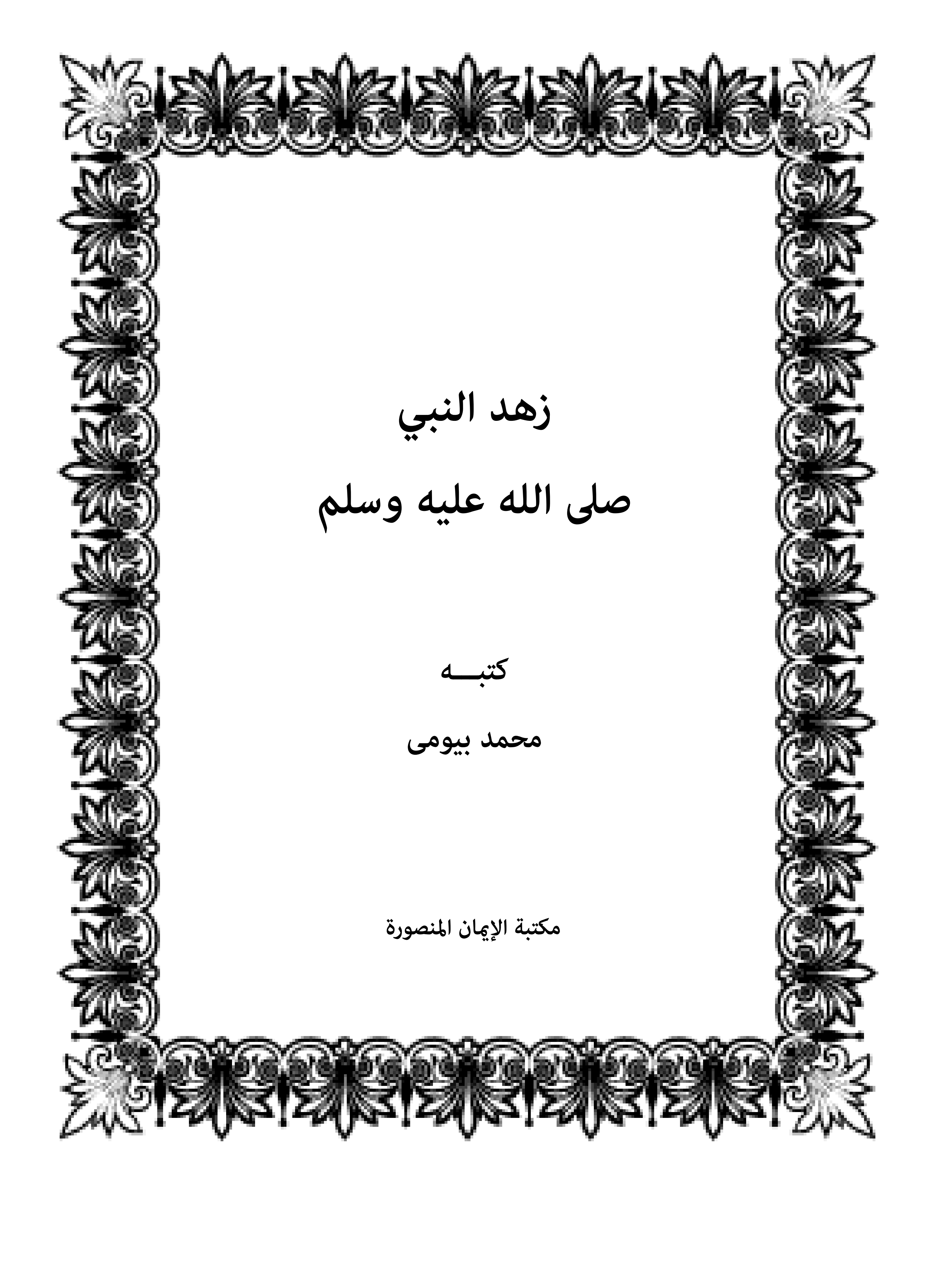


زهد النبي
صلى الله عليه وسلم

كتبـــه

محمد بيومى

مكتبة الإيمان المنصورة



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد.

فإن الرغبة في الآخرة لا تتم إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين.

نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والانكسار، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها وهم في حال الظفر بها، وغم الحزن بعد فواتها فهذا أحد النظرين.

(والنظر الثاني): النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال الله سبحانه وتعالى:{وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: 17] فهي خيرات كاملة دائمة. وهذه خيالات ناقصة متقطعة مضمحلة، فإذا تم لـه هذان النظران آثر ما يقتضى العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضى الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة إلا إذا تبين لـه فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل لـه، وإما لعدم رغبته في الأفضل وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب فى الدنيا الحريص عليها المؤثر لها إما ان يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فأن لم يصدق ذلك كان عادماً للإيمان رأساً وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيء الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر لا ينفك العبد من أحد القسمين منه، فإيثار الدنيا على الآخرة إما فساد في الإيمان وإما فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم وطرحوها ولم يألفوها وهجروها ولم يميلوا إليها وعدوها سجناً لا جنة فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها كل مرغوب، فقد عرضت عليهم مفاتيح كنوزها فرموها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل.

قال النبي ﷺ: «ما لي وللدنيا إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها». وقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع».

وقال خالقهما سبحانه وتعالى:{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [يونس: 24 - 25]، فأخبر عن خسة الدنيا وزهَّدَ فيها وأخبر عن دار السلام ودعا إليها.

وقال تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً} [الكهف: 45 - 46].

وقال تعالى:{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]

وقال تعالى:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 14 - 15].

وقال تعالى:{وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ} [الرعد: 26].

وقد توعد سبحانه وتعالى أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه فقال:{إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [يونس: 7 - 8].

وعبر سبحانه من رضي بالحياة الدنيا من المؤمنين فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة: 38].

وعلى قدر رغبته في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفى في الزهد في الدنيا قولـه تعالى:{أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} [الشعراء: 205 - 207].

وقولـه:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ}[يونس: 45].

وقولـه:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: 35].

وقولـه تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: 42 - 46].

وقولـه:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: 55].

وقولـه:{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [المؤمنون: 112 - 114].

وقولـه:{يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا} [طه: 103 - 104] "الفوائد لابن القيم صـ 108 - 111".

معنـــى الزهـــد

قال ابن القيم رحمة الله: - والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار.

وقد أكثر الناس من الكلام في " الزهد " وكل أشار إلى ذوقه ونطق عن حاله ومشاهده فإن غالب عبارات القوم عن أذواقهم وأحوالهم. والكلام بلسان العلم أوسع من الكلام بلسان الذوق وأقرب إلى الحجة والبرهان.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: يقول: الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة. والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها.

وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء.

وقال الجنيد: سمعت سرياً (1)يقول: إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم.

وقال: الزهد في قولـه تعالى:{لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: 23]. فالزاهد لا يفرح من الدنيا بوجود ولا يأسف منها على مفقود.

وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها.

وقال الإمام أحمد: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وعنه رواية أخرى: أنه عدم فرحه بإقبالها. ولا حزنه على إدبارها. فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً ؟ فقال: نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت. وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد: الزهد في الدنيا والدرهم.

وقال أبو سليمان الداراني: ترك ما يشغل عن الله. وسأل رويم الجنيد عن الزهد؟ فقال: استصغار الدنيا ومحو أثارها من القلب.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

---

(1) يعنى السرى السقطى.

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين.

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبين درجاته وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل العلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد.

والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة، وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع ولهناد بن السري ولغيرهم.

ومتعلقة ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي: المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق ولـه تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكان الحسن بن علي رضي الله عنه من الزهاد مع أنه من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحاً لهن وأغناهم. وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد وكان لـه رأس وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد وكان لـه رأس مال يقول: لولا هو لتمندل بنا هؤلاء.

ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن البصري أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه.

الرسول ﷺ يحذر من الدنيا

حذّر النبي ﷺ أمته من الدنيا وفتنتها، وبيّن دناءتها وحقارتها فقال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» رواه الترمذي بسند حسن.

ومعنى ذلك أن تكالب الناس على الدنيا هو في الحقيقة تكالب على جناح بعوضة كلٌ يريد أن يحظى بجزء من الجناح!

وعن جابر رضي الله عنه " أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق والناس كنفتيه (1) فمر بجدي أسك(2) ميت فتناولـه فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن يكون هذا لـه بدرهم؟» فقالوا: ما نحن أنه لنا بشيء وما نصنع به ؟ ثم قال: «أتحبون أنه لكم ؟» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت، فقال ﷺ: «والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً» رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسن.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» رواه مسلم.

فيا أخي اجمع شتات نفسك الذي ذهب بك كل مذهب، واجعله هماً واحداً... هو الآخرة. يقول الرسول ﷺ: «من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب لـه، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله لـه أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة» رواه ابن ماجة وابن حبان بسند حسن.

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسُدُّ فقرك، وإن لم تفعل، ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة بسند حسن.

(1) أى الناس على جانبيه.

(2) أسك: مقطوع الأذن.

ولهذا كان رسولنا ﷺ يدعو ربه أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا كما في دعائه ﷺ: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» رواه الترمذي والحاكم بسند حسن.

يقول ابن القيم - رحمه الله: إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأفكارها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره. فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته، قال تعالى:{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَـهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَـهُ قَرِينٌ} [الزخرف: 36] "الفوائد صـ 76".

فعلى الإنسان أن يتيقن أن ما قدره الله في الدنيا لابد أن يأتيه لا محالة، لأن الله تبارك وتعالى قد تكفل لـه بذلك، ولذا فعليه أن يصرف همه إلى الآخرة. ومن العجيب أن الله تبارك وتعالى أقسم على ذلك في كتابه حتى يزيل أي شكّ أو ريبة في نفس عبده حتى يتفرغ لما هو أجدى.. ألا وهي عبادة الله، يقول الله تعالى:{وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} [الذاريات: 22 - 23].

ويعرفنا المولى تبارك وتعالى أنه تكفل بهذا الرزق لجميع مخلوقاته في الأرض، فيقول سبحانه وتعالى:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [هود: 6].

ويقول سبحانه:{وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 60].

وليعلم أن الله تبارك وتعالى قد كتب رزق الإنسان وكلّ ما يتعلق به قبل خلقه، يقول الرسول ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله عليه ملكاً، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال لـه: أكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» متفق عليه.

ويقول الله تبارك وتعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: 15].

ففى هذه الأية يأمر بمجرد المشى، لأن الرزق قد تكفل به، أما في طاعة الله فيقول سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: 9] فهذا سعى.. وذاك مشى.

مفاهيم خاطئة عن الزهد

قال ابن الجوزى: من المتزهدين أقوام يرون التوكّل قطع الأسباب كلها، وهذا جهل بالعلم، فإن النبي ﷺ دخل الغار، وشاور الطبيب، ولبس الدرع، وحفر الخندق، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدى وكان كافراً، وقال لسعد: «لأن تدع ورثتك أغنياء خير لك خير من إن تدعهم عالة يتكففون الناس» (متفق عليه).

فالوقوف مع الأسباب مع نسيان المتسبب غلط، والعمل على الأسباب مع تعلّق القلب بالمتسبّب هو المشروع "صيد الخاطر صـ 52".

زهد النبي ﷺ وكيف كان عيشه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير. قال: فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثرت في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقرظ (1) في ناحية في الغرفة، وإذا إهاب (2) معلق فابتدرت عيناى فقال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟» فقلت: يا نبي الله وما لي لا أبكى وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك، قال: «يا ابن الخطاب أما ترضي أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا» رواه أحمد بسند صحيح.

وفي رواية قال عمر رضي الله عنه: استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت في مشربة "غرفة" وإنه لمضطجع على خصفة(3)، إن بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً وإن فوق رأسه لإهاباً عطناً، وفي ناحية المشربة قرظ، فسلمت عليه فجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير، فقال: «أولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا» رواه الحاكم بسند صحيح.

وأخرج أحمد وابن حبان والبيهقى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوحر من هذا فقال: «مالى وللدنيا ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب مار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليّ إمرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة مثنية فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا عائشة ؟» قالت: قلت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فذهبت فبعثت إليّ بهذا، فقال: «رديه يا عائشة فو الله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة» رواه البيهقى بسند صحيح.

---

(1) القرظ: ورق السلم يدبغ به.
(2) إهاب: جلد.
(3) خصفة: أى الثوب الغليظ جداً.

طعامــه ﷺ

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل (1) ما يملأ بطنه رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يمر بأل رسول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد في بيوتهم شيء من النار، لا لخبز ولا لطبيخ، قالوا: بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريره ؟ قال: الأسودان، التمر والماء، وكان لهم جيران من الأنصار لهم منائح (2) يرسلون إليهم شيئاً من لبن. رواه أحمد وابن البزار بسند صحيح.

وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: "والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا" متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان (3) ولم يأكل خبزاً مرققاً حتى مات " رواه البخاري".

وعنه رضي الله عنه قال: إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبى ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال لها: «هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام» رواه أحمد بسند صحيح.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ النقي(4)، من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. فقيل: هل كان لكم من عهد رسول الله ﷺ منخل ؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. فقيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه(5). رواه البخاري.

---

(1) الدقل: التمر الردئ.

(2) منائح: جمع منيحة، وأصلها شاة أو بقرة أو ناقة تجعل لبنها لغيرك ينتفع به ثم ترد إليك.

(3) الخوان: ما يؤكل عليه الطعام (ترابيزة).

(4) النقي: الخبز الحوارى، الذي نخل مرة بعد مرة.

(5) ثريناه: بللناه بالماء.

ملابســـه ﷺ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزاراً غليظاً، قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين. متفق عليه.

فراشـــــه ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراش رسول الله ﷺ من أدم (1) حشو ليف» رواه البخاري.

وقد سبق في حديث عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ كان ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه، وأنه كان يضطجع على الثوب الغليظ وبعض جسده على التراب، ويغطى رأسه بجلد ممزق.

فهذه حياته ﷺ التي كان يؤثرها على النعيم والترف الذي إن أراده لكان لـه.. ولكن حتى لو جاءه فكان سينفقه في وجوه البر ومرضاة الله ولن يبقى لنفسه منه شيئاً، فيقول ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر عليّ ثلاث ليال عندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين» متفق عليه.

ولكنه ﷺ لم يرد أن يأخذ من الدنيا أكثر مما يبلغه بغيته في الآخرة، بل كان ﷺ يدعو الله تبارك وتعالى بأن يجعل حياته هكذا فيقول ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» متفق عليه. وفي رواية «كفافاً» بل عدّ ذلك رسول الله ﷺ من الفلاح فقال ﷺ: «قد أفلح من اسلم، ورزق كفافاً وقنّعه الله بما أتاه» رواه مسلم.

ولذا كان رسول الله ﷺ يدعو الله عز وجل أن يقلل لمن آمن به من الدنيا، ويكثرها على من كفر، فيقول ﷺ: «اللهم من أمن بك، وشهد أني رسولك، فحبب إليه لقاءك، وسهّل عليه قضاءك، وأقلل لـه من الدنيا.. ومن لم يؤمن بك ويشهد أني رسولك، فلا تحبب إليه لقاءك، ولا تسهل عليه قضاءك، وكثر لـه من الدنيا».

---

(1) أدم: أي جلد.

فيا إخواني " الحذر الحذر من الانغماس في الدنيا وملذاتها وشهواتها والإنكباب عليها، فرسولنا ﷺ لم يخشى علينا من قلة الدنيا، ولكن خاف علينا من كثرتها وزينتها وتنافسنا عليها، فيقول الرسول ﷺ: «فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» متفق عليه.

وانظر إلى هذا المثل الذي يضربه لنا رسول الله ﷺ في حديثه فيقول: «إنّ ممّا أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» فقال رجل: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر ؟ فسكت حتى ظننّا أنه ينزل عليه. قال فمسح عنه الرحضاء (1) وقال: «أين السائل ؟» وكأنه حمده، فقال: «قط إنه لا يأتي الخير بالشر، وإنّ مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلم، إلا آكلة الخَضِر أكلت حتى امتدت خاصرتاها، استقبلت عين الشمس مثلطت وبالت ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع،ويكون شهيداً عليه يوم القيامة».

فالدنيا لا يبكى عليها ولا يندم على فواتها ولا يفرح بها، لأنها مهلكة لمن يتبعها ويلهث ورائها وتحبس المؤمن عن بغيته ومراده.

****

(1) الرحضاء: العرق.

الفهرس